المدينة الكاملة

— ١ —

الانسان نزّاع بطبعه الى الكمال . لذلك قال اسكار وايلد : «كلّ خريطة عالمية لا تشتمل على مكان « للفردوس الارضي » لا تستحق العناية . لانها تهمل البلاد الوحدة التي تقصد اليها الانسانية في رحلاتها المتتابعة . فاذا حطت رحالها في فردوس منها تطلعت منهُ الى آخر . ثم تنشر شراعها وتبدأ رحلتها من جديد . والارتقاء انما هو تحقيق احلامنا في الفردوس الارضي »

اصحيح ما قاله هذا الكاتب اللبق ؟ هل ارتقاء البشرية هو تحقيق احلام الفلاسفة وصور الشعراء للفراديس الارضية . أن الذهن العصري لا يسلم بذلك . فقد اصبح من السائر بين افراد هذا الجيل ان ينكروا امكان الارتقاء . فيقول المتشائم او المرتاب : ليس التاريخ سيراً الى الامام ، بل هو دورة تنتهي الى حيث ابتدأت . كلّ ما يرتفع يجب أن يهبط . وخصوصاً الحضارات . وارتقاؤنا ليس الاّ اضطراباً لطيفاً على سطح بحر اعماقهُ ساكنة مستقرة لا تضطرب . ان صور الفراديس الارضية ليست الاّ صوراً شعرية اثيرية نخدّر بها نفوسنا الحساسة لكي لا تشعر بألم عمليات الوجود المؤلمة التي تستمرُّ من المهد الى اللحد . ما كان كائن وسوف يكون . والازياء تتغير فقط

هذا عقوق منا ! نحن وقد اغدق علينا سحر العلم ضروب المستنبطات والمخترعات والوسائل التي تسهل علينا اسباب المعيشة ، نجلس كفتاة خيالية على كنوز ثروتنا وحضارتنا ، ونتشوّف الى كنوز بعيدة ، لانشتاقها الاّ لبُعدها

صبا الفلاسفة في الزمان القديم ، الى تعميم المدارس يوماً ما . وقد عمت المدارس طائفة كبيرة من امم اوربا واميركا والشرق الاقصى وبدأت تعم الشرق الادنى ايضاً . ولكن مفكري هذه الامم لم يكتفوا بذلك بل يصبون الى تعميم الجامعات

كان الاطفان الصغار والامهات ربّات الاسر يستعبدون في المصانع القذرة الضيقة التي لا تهوّى تهوية كافية . وينامون ليلاً على الارض قرب آلاتهم . اما الآن فالاطفان مرغمون على حضور المدارس . وبعضهم لا يخرج منها الاّ الى مناصب الحكم والسلطة في الحكومة والشركات . ولقد فاز العمال بواسطة تنظيم صفوفهم وجرأة زعمائهم بما كان

بحسب غاية الغايات من اجور عالية واحترام مقام وضمان ضدّ مخاطر الحياة . ومع ذلك نراهم يطمعون ببسط دكتاتوريتهم على العالم

وما يقال في التعليم والاطفال والعمال يقال في الصحة العامة والمأكل والمشرب والملبس. فقد حققنا غايات تفوق ابعد ما تصوره الشعراء والحالمون في العصور الغابرة

ولكن اناطول فرانس يقول : اذا استطعت ان تقرأ نفسي رُوّعت . ليس في كل العالم مخلوق نفس مثلي . هذا الرجل . امير النثر الصافي كالبلور ، الذي احاط ذهنهُ بلآلىء الحكمة القديمة ، وتسلم زمام القلوب . ودعي في اثناء حياته بخليفة رابليه وڤولتير ، وجمع ثروة ضخمة ، وتفتحت امامهُ كل ابواب الحياة ، فلم يؤذ احداً قط، يقول انهُ تعس شقي . اذا كان هذا الرجل لم يلمس السعادة فمن يلمسها واذا كان لم يجدها هو فأين نجدها نحن

لماذا تفضي بنا ثروتنا العامة الى التشاؤم والاستهتار . ولماذا يتركنا فوزنا على قوى الطبيعة — كما تُرك سلمبو — شقية في ساعة الانتصار !

والواقع ان جانباً كبيراً من التصورات الكمالية التي تصورها الشعراء والفلاسفة الاقدمون قد تحققت . ولكن في العالم الخارجي فقط . اما العالم الداخلي . اما نفوسنا . فلم تتغير الاّ تغيراً بطيئاً . لقد كان اسهلَ علينا ان نغيرّ معالم سطح الارض وان نربط القارات بطرق البر والبحر والهواء . وان نحول الفحم والحديد الى الوف الضرورات والكمالات . كل ذلك كان اقرب منالاً لنا من ان نتزع من نفوسنا غرائز الطمع والاثرة وحب الحصام والقسوة المغروسة في مستقبلنا ، بواسطة تراع طويل في ماضينا . فيحق لنا ان نغضب لما نحن فيه . ولكن لا يحقّ لنا ان نجحد النعمة . فان نصف الفردوس الارضي قد تمّ او كاد على يد العلم . ونخطىء اذا نحن لم نرَ فيه املاً بتحقيق النصف الآخر

نحن جبارة في الاجسام افزام في الروح . وقد حققت احلام الفردوس الارضيّ في كل شيء تقريباً الاّ نفوسنا

في المدينة الكاملة التي سوف نحاول بناءها لن نسند الى وجه الارض نتحوّل معالمهُ كما نشاء . ولا الى امبراطورية الانسان عمدٌ في ارجائها . بل سوف نعمد الى نفوسنا وعقولنا وارادتنا نعيد بناءها من جديد لتكون جديرة بالحياة في العالم الذي خلقتهُ عقولنا فتسمو اغراضنا حينئذ حتى تتسق مع القوى الطبيعية التي نسيطر عليها

—٢—

لنتصوّر مدينة وهمية من الف الف نسمة . نريد ان نعيد بناءها بناء روحيًّا على المثال المذكور آنفاً ، ولنتصور ان الانتخابات العامة فيها قد اسفرت امس عن انتخاب محافظ جديد.

وانهُ الساعة آخذ في الاستيقاظ من نوم الليلة الاولى بعد الانتخاب . واذ يتحقق ان الصباح قد اقبل وانهُ اليوم يحافظ المدينة وعلى عاتقه تقع اعباء حكومتها يرفع رأسهُ مفكراً ثم يخاطب نفسهُ قائلاً . . .

لو علمت من سنوات اني سوف اصير محافظاً للمدينة لكنت اعددتُ نفسي لهذا العمل الخطير. وقد مضى عليَّ اكثر من عشر سنوات لم اقرأ كتاباً . وكيف يحكم مدينة كهذه رجل لم يقرأ كتاباً في حياته وخصوصاً في هذا العصر الزاخر بضروب المشكلات التي تحتاج في حلها الى معرفة دقيقة ؟ ان مصير الف الف من الرجال والنساء معلّق بكلمات افوه بها او لا أفوه . وما اعملهُ اليوم لهُ اكبر اثر في اطفال لم يولد اجدادهم بعدُ . ما اكثر مشكلات هذه المدينة ...

وتوقف هنيهة ثم قال : سأعمل عملاً يدهش له السياسيون . عملاً لم يعمل من قبل . لادعونَّ اكبر العلماء من جامعاتهم وأكبر الماليين من مصارفهم، وأكبر المربين من مدارسهم وسيدات المجتمع المقدَّمات . واعظم المخترعين . واشهر رجال الادارة . وزعماء العمال. لادعونهم الى دار المحافظة ليمدوني بالرأي ! هنا قام المحافظ من سريره ، ووقف في نافذته الشرقية يواجه الشمس الطالعة ويخاطب نفسهُ والارواح الوهمية التي تسبح في ضوئها

هؤلاء هم عظماء المدينة . فعلى قمة الاكمة في دور الجامعة ، تقيم طائفة من العلماء يقال انهم من اشهر علماء الارض . وفي هذه المدينة يقيم نفر من اكبر مديري الشركات . وفيها سياسيٌّ بنّاء واحد . هؤلاء يفيدون المدينة . ولكنهم لا يقبلون على المناصب الحكومية لضآلة رواتبها . ولكن اذا قلت لهم نحن في حاجة الى مساعدتكم ، أفلا تلبون دعوة المدينة وتنظمون لجنة تأخذ على عاتقها ارشاد الحكومة واصلاح المدينة ؟ انهم ولا ريب يقبلون

ووقف الحافظ قليلا متأثراً من بلاغته ورفع يديه الى السماء وقال : ساعدني يا ربّ

— ٣ —

ذاعت انباء اللجنة العظيمة في احياء المدينة . فارتجفت اعصاب الموظفين خوفاً من ان يلحق بهم منجلها الحصّاد . ولكن التأثر جمهور الشعب . حتى رجال العصبة السياسية التي تؤيد المحافظ وتحيي منافعهُ سُرّت . لانها كانت تسمح له ان يبذل في سبيل اصلاح الشعب ما يشاء من القوة والبلاغة على شريطة ان لا يمسها باصلاحه ! واجتمعت اللجنة في ردهة المحاضرات في دار الجامعة . ومُثّلت فيها الصحافة تمثيلاً وافياً... ولكن الجمهور لم يدع . لانهُ حيث يجتمع جمهور من الناس فلا بدَّ من القاء الخطب والقاء الخطب يضيّع على اللجنة الغرض من اجتماعها وهو البحث الدقيق واقتراح برنامج للاصلاح

وكان اعضاء اللجنة خمسين بين العالم بعلوم الاحياء والمالي والمحسن ومدير الشركات والمهندس والقانوني والاقتصادي والعالم بعلم النفس والمعماري والطبيب وزعيم العمال وصاحب المعامل والمثال والسيدة الغنية والسيدة المتعلمة والاشتراكي والرؤساء الروحيين . ولم يدع للانتظام في عضوية هذه اللجنة تجار الاطيان ولا السياسيون ولا الادباء ولا الفلاسفة

ولما انتظم عقد اللجنة وقف المحافظ فيها خطيباً فقال : سيداتي وسادتي : لقد دعيتم الى هنا ، لان مدينتنا اكبر من ان يحكمها رجل واحد حكماً صالحاً من غير مساعدة . فقد تعددت وجوه الحياة ومشكلاتها بحيث يتعذر الحكم على طائفة من الرجال يختارون لدهائهم السياسي لا لمعرفتهم الاقتصادية والعلمية او مقدرتهم الادارية . فقد حان الزمن الذي يجب ان ندعو فيه اصحاب اكبر العقول ، واصحاب امتن الاخلاق الى مساعدتنا

« نحن في حاجة الى ارشادكم . ادرسوا مشكلاتنا درساً وافياً ولخصوا مقترحاتكم تلخيصاً دقيقاً . واذكروا ان هذه المقترحات يجب ان تكون ضمن نطاق التحقيق العملي من وجهة الطبيعة البشرية اولاً ومقدرة المدينة المالية ثانياً . اما انا فاعد وعداً حراً بان اؤيد كل مقترح يحيني من لجنتكم اذا فاز باجماعها او بما يشبه الاجماع . ان مسائل الاصلاح الاجتماعي ليست مسائل سياسية ولا هي مسائل تهم طبقة خاصة من الطبقات دون غيرها . فنحن واقفون معاً في ما يشبه الفوضى ويجب ان نسير معاً نحو الاصلاح . المدينة مدينتكم . فابنوها بناء جديداً »

هنا ادت الصحافة خدمة كبيرة لنجاح اللجنة في مهمتها . ذلك انه كان من اسهل الامور عليها السخرية من تأليف اللجنة وتنافر اعضائها والتأكيد بان خيراً اجتماعياً لن ينتج عن اجتماعها . ولكن المحافظ كان ذا عين سياسية نقادة فعين صاحب كل جريدة كبيرة عضواً في اللجنة اتقاء لمقاومة جريدته وجلباً لتأييدها

على ان الجمهور ، رغم تأييد الصحافة ، كان مرتاباً في مقدرة لجنة كهذه مؤلفة من علماء على اصلاح بلدة عظيمة كبلدتهم . وبلدتهم مالها حتى تتطلب الاصلاح ؟ فلما ظهر تقرير الفرع البيولوجي في اللجنة ومعظمه يدور على « تحديد النسل » اضطرب الجمهور وسرت في المدينة موجة من الاستنكار . من هم هؤلاء الذين يجرؤون ان يقولوا لامة مستقلة ان « الابوة امتياز لاحق » . ولو لم تنشر الصحف التقرير بحرفه لبطل عمل اللجنة من بدئه

نص التقرير : النتيجة الاولى التي وصلت اليها اللجنة هي ان الاصلاح يجب ان يبدأ بتحسين النوع من الوجهة الجسمانية . فاننا لا نستطيع ان نرتقي كما يجب الا اذا استعملنا كل وسيلة لتشجيع الاقياء على التوليد ، واقناع الضعاف والمصابين بالامتناع عن توريث

ضعفهم وامراضهم . ولكننا في ذلك لا نحتاج الى تشريع . اذ نحن نودُّ ان نقترح آراءنا اقتراحاً على جمهور العقلاء . ونحن نعتمد على حسن نيتهم وتأييدهم بدلاً من الاعتماد على ارغامهم بالقانون . وكلُّ ما يرغم نفسهُ فقط

«لذلك نحن اعضاء اللجنة نتعهد بالامتناع عن توليد الاولاد الاَّ اذا وافق الاطباء على اننا لسنا مصابين بامراض تورَّث لاولادنا . ونحن ندعو الافراد والجماعات على اعلان ارتباطهم بوعدٍ كوعدنا هذا ونحن واثقون بان اذكياء المدينة يعاونوننا اولاً على تحقيق هذا . واملنا ان مكانتهم في المجتمع تجعل عملهم مثالاً يحتذى

«ونحن ندعو صحافتنا ومدارسنا العالية وجامعاتنا الى نشر التعاليم اللازمة المتعلقة بهذا. ندعوها لان توضح للجمهور ان ارتقاء البشر يتوقف على ارتقاء كل جيل جسماً وعقلاً . واننا نطلب الى ابناء المدينة المخلصين لوطنهم ان يبذلوا هذا الجهد في ضبط النفس لبناء مدينتهم ومدينتنا بناءً جديداً . وتلا ذلك توقيعات كلّ الاعضاء الاَّ عضواً واحداً

فلمَّا ظهرت هذه المقترحات انحى عليها النقاد باللائمة. فبعضهم بسم بسمة هزء من سذاجة هؤلاء العلماء الذين يظنون انهم يستطيعون ان يصلحوا مدينة بمجرد نشر المعارف بين ابنائها . وذكر احدهم قول فردريك الكبير لما اقترح عليهِ اصلاح النوع البشري بتعميم المدارس والجامعات اذ قال لوزيره « يا عزيزي . انت لا تعرف هذا الشعب الملعون معرفتي لهُ ». ولكن جمهور المفكرين سرَّهم ما في المقترحات من رويَّة وتشديد على قواعد الاصلاح وسرَّتهم كذلك هذه الصورة الاجتماعية الجديدة وهي صورة « الحكم عن طريق التعليم والتهذيب » واتفاء العنف في عمل الاصلاح

وما ذاعت هذه المقترحات حتى اجتمع اطباء المدينة واقرُّوا موافقتهم عليها بالاجماع . وجاراهم في ذلك الاساتذة والمعلمون والصحافيون وغيرهم . فلما نالت الفكرة هذا النصيب الوافر من التشجيع كتب ميثاق عام يعرض على كل متخرج — ومتخرجة — من المدارس العالية للتعهد بالمحافظة عليهِ اذا شاء . وكان التعهد اختياريًّا ، الاَّ ان موافقة الرأي العام جعلتهُ اجباريًّا تقريباً . وهكذا فازت اللجنة في معركتها الاولى

— ٤ —

في آخر الاسبوع الثاني نشر الفرع الثاني من اللجنة تقريرهُ ومقترحاتهِ. وهذا نصها :

« اننا نقول بان المحافظة على الصحة العامة وتوسيع نطاق التعليم الى اقصى حدٍّ ممكن للصغار والكبار على حدٍّ سوى ، يجب ان يكون لهما المقام الاول في اعمال الحكومة . فنحن

نقترح انشاء مستشفيات عامة حيث تعالج الامراض بكفاءة معالجة مجانية . ونحن نشير بان ينال الجسم في المدارس من العناية بقدر ما ينال العقل . فنحن نعتقد ان صحة الامة اهم من ثروتها . وان الصحة سرُّ السعادة الاولى . وننتظر تشجيع الالعاب الرياضية المفيدة للجسم والخلق ونصرُّ على تثقيف الصغار بقواعد النظافة التامة

«ونقترح ان يكون لفرمدينتنا شدة سخائها في الانفاق على التعليم، وندعو الى وجوب رفع رواتب المعلمين رفعاً تدريجيًّا حتى يصير مقام المعلم وراتبهُ في الطبقة الاولى بين مناصب المدينة العامة . ونقترح كذلك انشاء مساعدات مالية تمنح للاذكياء من الطلاب الفقراء ليتمكنوا من الحصول على التعليم العالي فتستفيد المدينة من القوى الكامنة في كل طبقات شعبها . ونشير كذلك بوقف الاموال اللازمة على البحث العلمي لزيادة المستنبطات وترخيص القوة الميكانيكية لتحلَّ محل قوة العضلات فتضع حدًّا للعبودية البشرية

«ونشير كذلك بحذف كل العبارات التي فيها تمجيد للحرب في كتب التدريس، وتشجيع الشعب في ميله الى السلم وان لنعتمد على الوسائل اللازمة للدفاع فقط

«ونقترح تشجيع المدارس الاهلية وتجربة التجارب لترقية طرق التعليم وتنويعها. ونشير باطلاق الحرية للفكر والصحافة والاجتماع والعقيدة الدينية لانها مقومات الخلق القوي المتين. فزيادة تدخل الحكومة في شؤون الشعب يجب ان يقابلها ويوازنها اوسع نطاق من حرية العقل . ونشير بجعل المدارس بيت الامة العقلي . تفتح ابوابها كل ساعات الليل والنهار ، ممهدة السبيل لكل وسائل الارتقاء العقلي والخلقي

« ونعتقد ان مدارسنا يجب ان تأخذ على نفسها تبعة تكوين اخلاقنا الادبية لتعوضنا من انحلال وسائل هذا التكوين الاخرى وضعف قواها كالبيوت والمعابد. وان التعليم لا يكون تعليماً تامًّا الاَّ اذا صقل المتعلم من الوجهة الاجتماعية بما يتفق وآداب المجتمع وخيره الاعلى

«ونهيب بأصحاب الصحف ومحرريها الى ترقية الصحف وجعلها مدرسة الامة. وندعو المحسنين لوهب الهبات لهذه الصحف لتنشر على صفحاتها بأقلام الثقاة دروساً منتظمة عامة في العلم والتاريخ والادب والفن . ونقترح ان يجهد المعلمون في تعليم الطلاب بأن يوم نيل الشهادة انما هو بداءة . وان كل تعليم انما هو استعداد واتصال بالارث الثقافي العام

وأمضى اعضاء اللجنة هذه المقترحات الاَّ اثنين

سرَّ جميع الناس بهذا التقرير الاَّ دائمو الضرائب . فالاطباء سرهم ما جاء فيه من تشديد على وجوب الاحتفاظ بالصحة العامة . والجمهور سرهُ ان المستشفيات ستكون مستشفيات حقيقية لا معامل لتشريح المصابين والتعلُّم بهم . والمعلمون لم يمانعوا في زيادة مرتباتهم ورفع

مقامهم الاجتماعي . والنوابغ الصغار الذين كانوا يرون الفقر الحائل الوحيد بينهم وبين التفوق والظهور رحبوا اشدّ الترحيب باقتراح المساعدات المالية للطلاب الفقراء

ولكن رئيس جمعية ملاّكي الاراضي ارسل الى الصحف احتجاجاً ايّده كلّ الملاّك اذ اطلعوا عليه. وخلاصة هذا الاعتراض ان اعضاء هذه اللجنة ليسوا الاّ خياليين سذج. وان مقترحاتهم احلام لاسبيل الى تحقيقها . وانها جديرة بطالب مبتدىء. وان اغراق البلاد بشبان كلّ منهم دكتور في الفلسفة من شأنه ان يجعلهم عاطلين اذ لا مكان لهم في صناعة البلاد وزراعتها . وبعد كل هذا من يدفع نفقات هذه الاعمال كلها ؟ وماذا يبقى للمالك بعد ما تأخذ الحكومة ما تنفقهُ لتنشئة جيل من البلشفيين . ثم ناشد الحافظ ان يضع حدًّا لهذه المهزلة وان يطلب الى اعضاء اللجنة ان يبحثوا عن المال اللازم لتحقيق مقترحاتهم

— ٥ —

هذا الاحتجاج الذي نشر في بعض الصحف شقّ الصفوف في المدينة الى فريقين فريق يؤيد اللجنة وفريق ينتقد اعمالها ومقترحاتها . فلما اوفت اللجنة على ختام الاسبوع الثالث ونشرت تقريرها الثالث من غير ان تلتفت الى ناقديها وتردّ عليهم ، ارتفعت اصوات الساخطين حتى كادت تصمّ اكثرية . بل قد شاعت الشائعات ان اعضاء اللجنة منقسمون على انفسهم فيما يتعلق بالطائفة الثالثة من المقترحات . والواقع ان ستة من خمسين رفضوا التوقيع عليها بحجة انها تقرير لاشتراكية الحكومة : وهذا نصّها

« نشير على حكومة المدينة بمراقبة كل الاطعمة التي تدخل المدينة وان تتساون مع الصحف على نشر قائمة بالاسعار المعتدلة لتنبيه السكان . ونشير عليها كذلك بان تدير بنفسها بواسطة مصالح مخصوصة كلّ المنافع العامة . فتنشىء محطات التوليد الكهربائي على حسابها وتبيع القوة للجمهور بما يكفي لجمع نفقات هذه المحطات وفائدة رأس المال . فيتاح للمدينة ان تصبح خالية من الدخان وتكون المصانع نظيفة مشتملة على كل الشروط الصحية

« ونشير كذلك بأن تستولي الحكومة على كل خطوط الانتقال والنقل على اختلافها وان تخفض اسعار الركوب فيها الى ادنى حد مستطاع بحيث لا تكسب الحكومة من ادارتها ربحاً ما ولكن بحيث لا تخسر . وان توسع نطاق هذه الخطوط لتفريج هذا الازدحام المشهود الآن . وتمكين اناس من سكنى الارياف المجاورة للمدينة

« ونقترح تشجيع ومراقبة الشركات الكبيرة التي يكون الغرض منها بناء البنايات الكبيرة المحتوية على شقق رخيصة الاجرة صحية البناء للاسر الصغيرة . وبناء بيوت صغيرة مستقلة

في الضواحي تشجيعاً للعائلات ، فلعل العائلة تعود الى مكانتها السابقة في المجتمع وتصبح مهداً للتجديد في المجتمع في الآداب والنظام الاجتماعي . ونوجه شكرنا الى المحسنين الذين سخروا بمالهم ليقيموا المتاحف العامة والمكاتب العامة والاجتماعات الموسيقية العامة المجانية . ونأمل ان يتسع نطاق هذا الاحسان حتى يشمل كل طبقات الشعب وكل نواحي احتياجه »

قوبلت هذه المقترحات الاشتراكية اما بالنفور الشديد او بالمدح الفاتر او بالنقد اللاذع والاحتقار العظيم . ولما كانت فائدة هذه المقترحات تشمل الجمهور بأسره لا فئة خاصة لم يوجد من يتحمس لها حماسة خاصة ويدافع عنها دفاعاً بليغاً . فالحماسة التي اثارتها المقترحات الاولى خمدت . اذ تعذر استنفار الجمهور للاهتمام بشؤون النقل والاضاءة بعد ما اهتموا بشؤون اصلاح الجنس البشري وترقية العقل البشري

فباعة القطاعي اخذوا يضغطون على زعماء الاحزاب السياسية التي ينتمون اليها للتنصل من عمل اللجنة ومقترحاتها خوفاً من ان يؤدي نشر قائمة الاسعار المعتدلة الى كسر شوكتهم في التحكم بالاسعار . وشركات الغاز والكهرباء لم تمانع في ان تمتلك الحكومة هذه المنافع العامة اذا سمح للشركات أن تبين ثمن الآلات والمباني . وشركات النقل حرّفت اقتراح اللجنة بتخفيض اسعار الركوب الى انهُ اشارة بزيادتها ، فهاج هائج الجمهور على اللجنة . وهكذا اخذ الناس يوجهون النقد اللاذع الى عملها ويتساءلون وعلى نفورهم بسمات الهزء هل يتاح تحقيق هذه الاوهام على ايدي هؤلاء السذج

— ٦ —

وفي نهاية شهر من تأليف اللجنة عرضت مقترحاتها الاخيرة وتفرّق اعضاؤها كلٌّ الى مزاولة عمله . فلما نشر هذا التقرير الاخير دهش ابناء المدينة اذ وجدوا فيه اجماعاً كالاجماع الذي وجدوهُ في التقرير الاول . وهذا نصهُ :

« نشير بتوسيع نطاق الحرية وتحديد مداها . اما توسيع النطاق فنقصد به اتاحة الفرصة لكل فرد من ابناء المدينة اعداد نفسهِ للوصول الى اعلى المناصب . واما تحديد المدى فنقصد به منع الوصول الى هذه المناصب الا لمن اعدَّ نفسهُ لها

« ونحن نرى وجوب تأسيس مدارس لتعليم « الادارة السياسية » يكون التعليم فيها دقيقاً وعمليًّا على نمط التعليم في مدارس الطب . ونقترح على احزابنا السياسية ان يبحثوا عن مرشحيهم السياسيين بين خريجي هذه المدارس وان يحصروا الترشيح للمناصب العليا — بعد زمن — في اولئك الخريجين الذين شغلوا مناصب ابتدائية سنتين على الاقل

رجالاً كانوا او نساء. وللاتفاق على تحقيق هذه المقترحات تقترح فرض ضريبة على الاراضي غير المستعملة للزراعة او للبناء . واخرى على الكماليات واخرى على كل الهدايا الخاصة والمبالغ التي تورّث اذا زادت عن قدر معيّن . واخرى على كل اللاهي التي لا تنمي قوى الناس الجسدية والعقلية

ثانياً اصدار قرض يستهلك بعد عهد طويل جدًّا ، حتى يحمل بعض عبئه الاجيال القادمة التي تستفيد منهُ . ولما كنا نعلم ان هذه المصادر لا تكفي لانفاق النفقات اللازمة لتحقيق ما تقدم نقترح على الذين يملكون ثروة كافية تمكنهم من المساعدة ان يمدّوا يد المساعدة لانشاء وقف كبير يديرهُ مجلس ادارة بعيد عن السياسة . ونعتمد على مساعدة الصحف في جعل مبلغ هذا الوقف متفقاً مع مكانتنا الاجتماعية والمالية . ونهيب بالوطنيين المحبين لبلادهم الاّ يتأخروا في هذا الميدان . فمن دون مساعدتهم يستحيل الاصلاح. وبها تصبح هذه المدينة اثينا جديدة . وللاعراب عن رسوخ عقيدتنا في صحة ما قلناه واقترحناهُ يتعهد كل منا بأن يقدم لهذا الوقف خمسَ دُخلهِ لمدة السنوات الخمس القادمة

— ٧ —

من يقرأ هذه الكلمات الاخيرة ولا يتحمس للمقترحات ولطريقة جمع المال لتحقيقها . فجملة واحدة وهي الجملة الاخيرة ، اثارت اللجنة في خيال الجمهور حماستهُ الاولى . ولما كانت الارض غير المستعملة قليلة في المدينة لم ترتفع اصوات ما بالاحتجاج . وهاهم الاغنياء ومديرو الشركات وغيرهم يتعهدون بدفع خمس دخلهم !

حقًّا ان المدينة الكاملة على الابواب !

فما ادرك مؤيدو هذه اللجنة الجو الموافي الذي خلقتهُ اللجنة بتقريرها الاخير ، جرؤا في الدفع عنها ونشر الدعاية لها . واعادت الصحف نشر التقارير الاربعة . ليتمكن الجمهور من رؤيتها كاملة احدها الى جانب الآخر . فثبت لهُ ان المطلوب هنا ليس بناء مدينة كاملة من الوجهة الصناعية الميكانيكية فيها ارصفة متحركة وطيارات مستعملة للمواصلات بل هي صورة لرفع المستوى الروحي والجسدي واحلال الفردوس في النفوس

وبمساعدة الصحافة انهالت التبرّعات على الوقف المذكور فبلغ المال الذي جمع خمسة عشر مليوناً من الجنيهات بعد انقضاء ستة اسابيع

والآن اتجهت الانظار الى مجلس البلدية الذي يرئسهُ المحافظ . وفي اليوم المعين لتقديم هذه المقترحات الى المجلس خصَّ مكان الاجتماع بالوافدين وكانت وجوههم بسّامة فرحة

كأنهم كانوا يشعرون أنهم يشاهدون حادثاً تاريخيًّا خطيراً يبدأ به عصر ذهبيّ. وقرأ المحافظ التقارير وخطب مؤيداً لها ، وأهاب بالاعضاء اهابة بليغة ليقرّوها

ولما ختم المحافظ كلامهُ وقف احد الاعضاء وخطب منددًا بها

قال : يا سعادة المحافظ اني اعارض هذه المقترحات وأقول انها تسليم شامل من جانبنا لدُعاة الاشتراكية . ماذا حدث لزعماء الصناعة حتى سلّموا في كل شيء لاصحاب الاحلام من الشيوعيين. اني ارى وراء هذه التقارير يد موسكو الحمراء . ورغم فائدتها فلا بدَّ لي من ان اقترع ضدها لاني احب بلادي ولن اقبل ان تحكمها بلاد اجنبية

صفّق الجمهور . ولكن اعضاء المجلس اصغوا اليه وعلى وجوههم امارات العناية والاهتمام. فوقف احدهم وسخر من قول العضو السابق بان المقترحات شيوعية ثم نهض آخر وسخا بالمناقشة الاجتماعية الرزينة الى مستوى الخطابة الرنانة — الجوفاء . اذ قال : ايها السادة ليست هذه المقترحات تسليماً منا لروسيا الشيوعية بل تسليماً منا لاصحاب المصالح الكبيرة التي تنوي استعبادنا . وهذه اللجنة الكبيرة ليست الاّ ناديًا من اندية الاغنياء . وما تازلهم عن جانب ضئيل من دخلهم الاّ طريقة شيطانية لابتلاع المدينة كلها

ولاحظوا ايها السادة كلامهم عن الحرب . الا نخجل من قولهم بوجوب الامتناع عن تمجيد الشبان الذين ماتوا في الدفاع عنّا ؟ ثمَّ ، ثمَّ ايها السادة ، في طول هذه المقترحات وعرضها لا نجد كلمة عن الدين بل فيها اشارة الى ان الدين قد اخذ يفقد تأثيرهُ . وهم يريدون ان يعوّضوا التلاميذ منهُ بتدريسهم الآداب. هذه طريقة للقضاء على الدين ! الم اقل ان بعض اعضاء هذه اللجنة ملحدون ؟ ! وأنت يا سعادة المحافظ — اهكذا يسخرون منك . انك تشأت مثلنا في شوارع المدينة فنحن نعلم كيف ندير شؤوننا . ولا نحتاج الى معلمي المدارس لتعليمنا ذلك . انهم يريدون ان يقوّضوا اركان الحكومة التي قضى آباؤنا في سبيل تعزيزها. ويل لهم ! بل ياخجلتا اذا نحن اقترعنا بالقبول على احد هذه المقترحات

* * *

ودامت المناقشات حول مقترحات هذه التقارير بضعة ايام كان المحافظ في اثنائها مثالاً للحزم والعزم في تأييدها . وكان بعض الاعضاء يؤيدونهُ في هذا الدفاع والتأييد . وكان بعض المتفرجين يصفق تصفيقاً حادًّا لكل خطيب يؤيدها . وفي نهاية الاسبوع اختتم الاقتراع على كل مقترح من هذه المقترحات . وذهب الاعضاء الى بيوتهم وتفرّق الجمهور . وكانت النتيجة ان المجلس لم يقرّ اقتراحاً واحداً منها